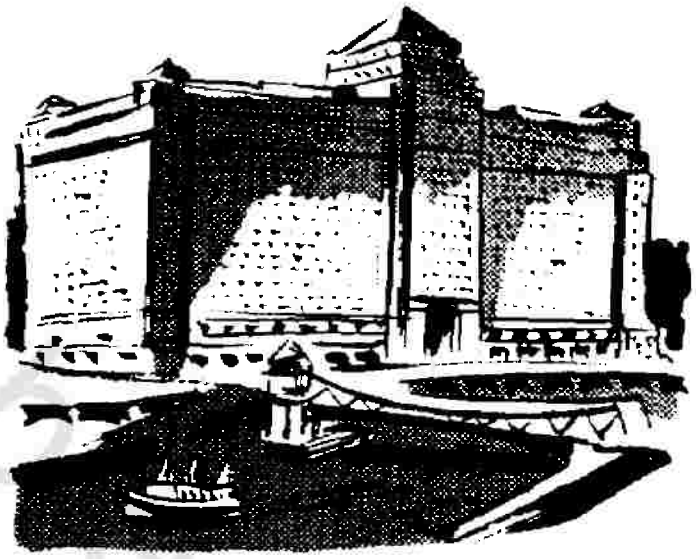

شيكاجو

وصلت الى شيكاغو فى الساعة الثانية صباحا ..

وما أن وصلت حتى أصبت بشىء من الهلع اذ رأيت أنهم نسوا حقائبى جميعها فى واشنطون ولم أدر كيف أقضى ليلتى بملابسى ، وبدت على امارات القلق والضيق ، فطيبوا خاطرى بأن المحلات التجارية بالفندق المقرر نزولى فيه وهو فندق هلتون تبقى مفتوحة الابواب للنزلاء حتى فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، وانى أستطيع أن أحصل على كل ما أشاء ...

وعندما نزلت « تحت الارض » لاقضى حاجاتى من المحلات بالفندق وجدت أن فندق « هلتون » بشيكاغو كفندق « وولدورف » بنيويورك عبارة عن بلد واسع فيه المحلات والرستورانات وبائعو الزهور والتحف والصحف ... الخ .

وشيكاغو مدينة الارستقراطية العريقة فى الولايات المتحدة ، وفى ضواحيها قصور الاثرياء واصحاب الاعمال وقد دعتنى سيدة من هذه المدينة لاقيم عندها فى دارها الانيقة بضواحى المدينة

على ساحل بحيرة « متشجان » ، وكانت هذه البقعة فيما مضى مسرحا لمعارك طاحنة ، لا يكاد يتصورها من يشاهدها الان على ما هى عليه من هدوء وصفاء والحق اننى لم أشعر بالمتعة والراحة وهدوء النفس بقدر ما شعرت فى هذه البقعة التى حبتها الطبيعة بكل منظر خلاب من سماء دائمة حتى خلال الشتاء ، الى مياه ممتدة الى مدى البصر ، الى أشجار كأنها متكاتفة ضد العواصف ، وكان حبى للمناظر الطبيعية مما حببنى فى الاقامة فى ضيافة هذه السيدة الكريمة ٠

و مع كل مظاهر الارستقراطية ، التى تسود شيكاغو فانها مدينة تجارية من الدرجة الاولى ، والحركة فيها نشطة غاية النشاط ٠٠٠

وقابلنى عمدة شيكاغو ويعتبر أهم شخصية فى البلدة ووضع تحت تصرفى عربته الخاصة وقال لى أنه دائما يدافع عن السيدات ٠٠٠ وأضاف ضاحكا : « ربما يعود ذلك لأننى لم أتزوج ولم أشعر بعد بخطورة سيطرة النساء ٠٠ » !!

وانعقد المؤتمر الصحفى فى هذه المدينة ، اذ كان معظم الحاضرين من رجال الاعمال فان الحاضرات من السيدات كن كذلك سيدات أعمال فيهن من يدرن الشركات ومن يساهمن فى المعارف ٠

ودارت مناقشة بينى وبين أكبر العاملين فى تجارة الابقار ، فأخذ يسألنى مداعبا كيف يخطر لى أن أقول بمساواة المرأة بالرجل فى سائر الوظائف والاعمال ، وماذا أقول فى تكليف المرأة بملاحظة آلاف الابقار وسوقها أمامها دون أن تفلت بعضها من القطيع ، وكيف أراها تستطيع أن تلف الحبل على الفحل الهارب فترده الى جماعته ، فكان ردى عليه أن طلبى المساواة انما هو بصفة عامة ٠٠٠ فلا جدال أن هناك أعمالا ينبغى أن يباشرها الرجل لأن المرأة لا تستطيعها كما أن هناك أعمالا ينبغى أن تباشرها المرأة لأن الرجل لا يحسن القيام بها ٠

ومشكلة زيادة الانتاج فى مريكا هى أهم مشكلة اذ يغطى انتاج أمريكا حاجة المواطنين ثم يفيض ، ولذلك فيتمتع الامريكان بمستوى عال جدا للمعيشة ثم تبدأ مشكلة تصريف الفائض من هذا الانتاج ٠

وتتمثل هذه المشكلة فى كثير من المدن الصناعية الهامة ـ مثل شيكاغو ـ اذ أنها مركز من أهم المراكز الصناعية فى الولايات المتحدة كلها .

الجنـــوب :

مررت بعد ذلك فى بلدان وسط الولايات المتحدة ثم جنوبها ، ولاحظت أن هذه البلاد لها طابعها الخاص المستقل ، فكل بلدة لها جوها ولها عاداتها التى ان لم تختلف فى المجمـوع فهى تختلف فى التفاصيل ...

وأهم مشكلة فى الجنوب مشكلة الملونين السـود وقد كنت متشوقة جدا لأن ألمس مدى خطورة هذه المشكلة بنفسى ، وأن أقف على حقيقة هذه المشكلة فى تفاصيلها .

وكان قد صدر قانون فى البرلمان بعدم التفرقة بين الملونين والبيض فى شتى أنواع المدارس وكان الملونون من قبل يتلقون العلم فى مدارس خاصة بهم وكان الأب الزنجى ـ مها وصلت به مراتب العلم والمعرفة ـ لا يجرؤ أن يرسل ابنه ليجلس جنبـا الى جنب صبى أبيض . وكانت كل مقاطعة لها ترتيبها الخاص فى هـذه المشكلة وفق مزاجها الخاص ... !

وهكذا وقفت أمام تنفيذ هذا القانون صعوبات جمة ، وعوائق كثيرة ، اذ كان يصعب على بعض هذه المناطق أن تتحرر من فـكرة الجنس التى نشأوا فيها وعاشوا حياتهم فيها ، وان كان المجهـود جبارا لتنفيذه فى كل الولايات .

ولاية تكساس هى أغنى بلاد الولايات المتحدة ، ويزعم أهلهـا انهم ليسوا أغنى اهالى امريكا فقط بل وأعقل وأقوى وأنشط من فى أمريكا ...

وكان ذلك ردا على تشنيعات الولايات الاخرى التى أطلقوها عليهم اذ كانوا يصفونهم بالبسـاطة و « العبط » فى بعض الاحيـان ،

وقد نشرت صحيفة ميالة الى المرح والسخرية خـــريطة للولايات المتحدة من وجهة نظر التكساسيين فرسمت ولايات أمريكا كلها نقطا صغيرة ، بينما كانت تكساس تحتل كل أراضى الولايات المتحدة !! وذلك لاعتقاد أهل تكساس أنهم كل شىء .

ولقد قابلت أحد الشخصيات فى الولايات المتحدة وبدأ الوصف فى المقاطعة التى ينتمى اليها .. وغناها .. وأهميتها .. فسألته: هل أنت من التكساس ؟

فأجابنى بفخر :

ـ نعـــم ....

دون أن يفكر أن هناك أية معاكسة فى سؤالى ...

ونستطيع أن نلمس حياة الامريـــكان على حقيقتها فى بلاد الوسط . اذ أن حياة المدن خصوصا المدن الكبرى ـ دائما تتشابه فالملاهى والنوادى الليلية فى نيويورك كباريس ولندن ، وروادهـــا دائما من الســـياح أو من أهالى الريف الذين جاءوا يمضـــون أيام عطلتهم بالمدن . وهم يصرفون أموالهم بسخاء ، ويطلبـــون نفس أنواع المتعة ؟ ... ويغلب المرح على الامريكان فى حياتهم الخاصة فهم شعب مرح ، تحب لو قضيت حياتك كلها فى مرحهم وانطلاقهم

والفواكه موجودة فى كل وقت ، وعلى جميع فصول السنة ، وذلك لاتساع رقعة البلاد ، واختلاف الجو من الشرق الى الغرب ، وهم يتمتعون بفواكه فصل الصيف فى يناير وفبراير والعـــكس صـــحيح . ولقد فوجئت « بالعنب » على المائدة فى شـــهر ديسمبر ، وخيل لى أننى فقدت الذاكـــرة لاننى لم أتذكـــر أن رأيت العنب فى بلادنا الا فى عز الصيف ، ولكن طمأننى القـــوم بقولهم بأنه ليس هناك « أوان » للفاكهة فى أمريكا ، وذلـك لسهولة المواصلات التى تأتى بسرعة بفواكه البلاد الحارة الى البلاد الباردة والعكس ، فحمدت الله على اطمئنانى على ذاكرتى وحمدت الله أيضا على أن الفاكهة عندنا لها « أوان » ، فلكى نتمتع بها حقا يجب أولا أن نتشوق لها .

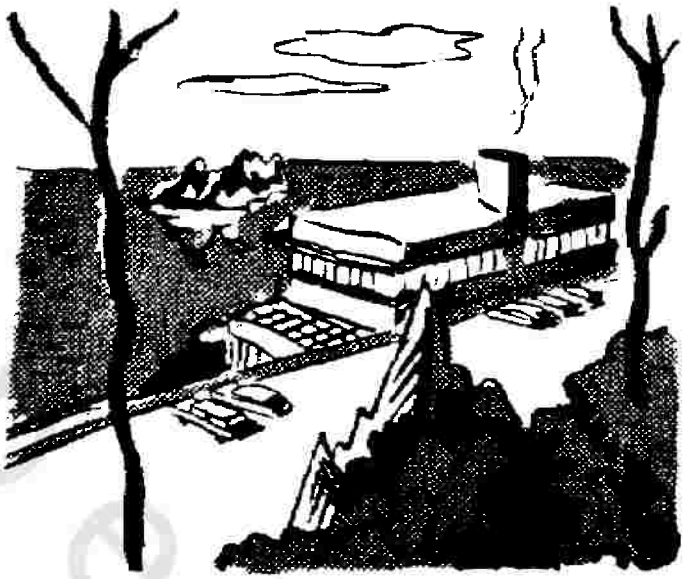

لوس انجلوس

ولوس أنجلوس مدينة كبيرة جدا ، ومن أهم مدن أمريكا وتعتبر هوليوود احدى ضواحيها ، وهوليوود على الرغم من صغرها من أكثر الاجزاء انتاجا وكسبا ٠

وقد كنت أتخيل وأنا في مصر اننى سأرى الممثلات فى الشارع ولكننى لم أصادف أحدا هناك طوال اقامتى بالمدينة ٠

ولوس أنجلوس مسرح لحركة نسائية نشيطة ، وقد حضرت فيها حفلة حضرها ٧٠٠ شخص ـ وكان ذلك فى ديسمبر الماضى ـ ودارت المناقشة حول الشرق الاوسط وبدأت أتحدث اليهم وأشرح لهم الوضع الصحيح فى هذه المنطقة الحساسة فى العالم ، وشرحت لهم حالة اللاجئين العرب على حقيقتها ، وبدت الدهشة على الكثيرين منهم الذين لم يعرفوا كل هذه الحقائق ٠٠٠

واقترح أحدهم تكوين لجنة جديدة فى هيئة الامم المتحدة لدراسة الطرق لحل مشكلة اللاجئيين الفلسطينيين ، وكان ردى عليه أن

المناقشات كثيرة واللجان هى الاخرى كثيرة فى الامم المتحدة ، بل أنها زادت عن اللزوم ، ولم يصلوا قط الى حل أو نتيجة عن طريق اللجان ، ثم دعوت الى التقليل من اللجان والمناقشات والعمل على الزيادة فى العمل حتى يمكن الوصول الى حل وذلك ليس بمحال، اذا توافرت النية الصادقة والرغبة الاكيدة فى حل هذه المشكلة ٠

وأثار هذا الرأى ضجة كبرى فى الصحف فى اليوم التالى شعرت بصداها فى كل البلاد التى زرتها بعد ذلك ٠

obeikandl.com

سان فرنسسكو

كنت قبل سفرى الى سان فرانسيسكو يذهلنى مجرد التفكير فى جسرها الضخم فكنت أتحرق شوقا لرؤيته ...

ونزلت فى فندق « مارك هوبكنز » ويشغل بناية من أعلى مبانى العالم وصعدت الى الطوابق العليا لانظر الى المحيط الهادى من أعلى هذه العمارة الضخمة ، وكنت أريد أن أعرف حقيقة ان كان هادئا أم أن التسمية لا أساس لها من الصحة ...

الواقع أننى رأيته ثائرا ... رمزا حيا للقرن الذى نعيش فيه ، فقلت فى نفسى أن من سماه بهذا الاسم لابد أنه شاهد محيطا آخر ... أو ربما كان ذلك المحيط الثائر .. هادئا فى عينيه .. فكل شىء نسبى ... أو لعله لم يره فى المكان والزمان اللذين رأيته فيهما ، فقد كانت العاصفة التى شهدتها شديدة ، وذكرتنى بالعاصفة السياسية القائمة بين أمريكا وآسيا وبين الشرق والغرب ، اذ أن هذا المحيط هو الذى يفصل بين القارتين الكبيرتين ، فكأنه يرمز الى الاضطراب السياسى ويأبى أن يظل هادئا وسط العواصف والتيارات المختلفة ! ...

وقد زرت فى سان فرانسيسكو مطعم « عمر الخيام » الذى يقدم « الكباب والنيفة والضلمه ... » ومختلف الاصناف ألذ وأشهى من الاطباق التى نأكلها فى بلاد الشرق فكأننى فى مصر وأنـــا على حدود المحيط الهادى ! ؟ ...

وهكذا وجدت أن لنا نفوذا فى امريكا !.. فى الاكل على الاقل .!!

وان من يزر سان فرنسيسكو يلمس بنفسه أهميـــة اليابان بالنسبة لامريكا لاهمية منطقة اليابان بين الكتلتين الغربية والشرقية، ولقد رأيت كثيرا من اليابانيين فى هذه المدينة اجتازوا المحيط الهادى واستوطنوا فى سان فرانسيسكو ، ولسان فرانسيسكو طابع دولى لوجودها على المحيط الهادى ، فأغلب المسافرين من الولايات المتحدة الى آسيا يمرون على سان فرانسيسكو . وكذلك العائدون من آسيا الى الولايات المتحدة .

المحيط الهـــادى

وأخيرا وبعد هذه الرحلة الطويلة فى الولايات المتحدة التى كانت ذات فائدة كبيرة فى تفهم العقلية الامريكية ، والقوى الدافعة وراء سياستها الخارجية ، أخذت الطائرة من سان فرانسيسكو ، وكانت وجهتنا اليابان ٠

وفى الطائرة دائما تدور فى رأس الانسان أفكار كثيرة ، فالارض تتضاءل تحتنا والطائرة تشق الفضاء بسرعة هائلة ، فيخيل اليك أنك تستطيع أن تفعل الكثير فى يوم واحد ، لقد تضاءلت المسافات وأصبح العالم بين يدى الانسان وحدة واحدة ، ولكن ما ان تقف الطائرة فى أول مطار حتى تحس أنك انتقلت الى عالم آخر ، كل شىء متغير الوجوه تغيرت ، الملابس ، الطباع ، الجو المحيط ، المبانى ، حتى النباتات ، ويخيل اليك أن السماء هى الاخرى ليست تلك التى كانت تعلوك فى البلد الذى تركته ٠

وتتضاءل كذلك فى الطائرة كل المشاكل فهناك بالقرب من السماء تبدو كل هذه المعارك التى تدور على الارض سخيفة ، لماذا لا تعيش وتدع غيرك يعيش ؟ كيف لا تجد كل هذه الدول المتعاركة حلا لمشاكلها ؟ هل ضاقت بها الحال الى هذه الدرجة ؟

ما أضعف الانسان وما أقواه ! ٠٠٠٠

ونظرت من شباك الطائرة الصغير ، لارى المحيط الهـــادى ، وكانت هذه هى أول مرة أرى فيها المحيط الهادى « هادئا » ، وكانت الشمس ساطعة ، والماء ممتدا حتى الافق ، وبدت زرقته ـ رغم صفائها ـ عميقة لا نهاية لها ـ هذا المحيط الذى يفصل الشرق عن الغرب ، ويفصل بين النقيض والنقيض ٠٠٠

طالما دارت فى هذا المحيط معارك فى الحرب العالمية الثانية ، أى فى السنوات العشر الماضية ، فهل يقدر له أن يشاهد نهاية المعارك الانسانية فى السنوات العشر المقبلة ؟..

وهل يظل هذا المحيط هادئا كما يبدو من هذا العلو ؟ أم انه سيستيقظ بدوره مع يقظة آسيا الحديثة ، فيلعب دورا جديدا ويكتب هو بقية صفحات التاريخ ؟؟

هل ينتزع هدوؤه الحقد والكراهية من قلوب الناس ، أم تهب عواصفه فتطغى على مصائرهم وتعجل بالنهاية ؟

وقطع سلسلة أفكارى صوت المضيفة الحسناء وهى تقول :

ـ ثبتوا أحزمة مقاعدكم فسوف نهبط فى جزر هاواى ، فى هونولولو .. كان أمامنا أن نبقى فى المدينة بضع ساعات ...

ولاول مرة اشاهد عادات أهالى جزر هاواى ـ التى طالما قرأنا عنها ـ فى الحقيقة ..

الوجوه التى صبغتها الشمس بطبقة برونزية جميلة ، والتى تعلوها الابتسامة دائما ..

البساطة والجبهة الرائقة التى تفتقدها فى زحمة الحياة فى المدن الصاخبة ..

الهدوء وأداء الاعمال على مهل ، كأنهم لا يحسبون حسابا للزمن ولا يعترفون بعصر السرعة ..

ووقف وفد من المستقبلين ، وقد أمسكوا بحلقات الزهور يقلدونها أصدقاءهم القادمين من السفر كالعقد ، وكانت هذه هى أول مرة أرى هذه العادة الجميلة .. التى تكررت بعد ذلك فى كل بلاد آسيا .

وخرجت أنا ومجموعة من الركاب لنقوم بجولة سريعة فى هذه المدينة الساحرة ومررنا بين الزهور والاشجار والمبانى الوطنية ثم

وصلنا أخيرا الى محل صغير لتناول شيء من عصير الفواكه ، ونستمع الى الموسيقى «الهواى» ونشاهد الرقصات الوطنية الرشيقة ..

وكنا نستمع الى الموسيقى الوطنية فى كل شارع وفى كل بيت . اذ أن أهل هونولولو مغرمون بالموسيقى والرقص والزهور ..

وبذلك يمكن أن نسمى هونولولو بحق . مدينة الرقص والزهور والموسيقى ...

وفى هونولولو تذكرت بول جوجان ، الفنان الفرنسى الشهير ، وكيف هرب من الحياة فى باريس وضج من ضجيجها وتعقيدها ، فهجرها ليعيش فى جزر تاهيتى ..

والتمست له العذر ..

فاذا ضقت ذرعا بالحياة فى المدينة ، وأرهقك العمل المتواصل والملابس المعقدة وضجيج الالات ، ونفير العربات ، ورنين التليفون ، والروتين القاتل فأهرب الى جزر المحيط الهادى ، حيث الزهور والموسيقى ...

ثم استأنفت الطائرة طريقها الى اليابان ، ووقفنا مرة اخرى فى جزيرة صغيرة هى جزيرة «ويك ايلاند» ، ولا يزيد طول الجزيرة عن خمسة اميال ، وعرضها ثلاثة وتقف هذه الجزيرة وسط المحيط لتكافح الامواج وتتشبث بالحياة ..

فهى جزيرة غير ذات زرع ، وسر وقوفنا بها هو أنها محطة للوقود ، فليس فيها سوى مطار صغير يتوسطها وتقف بها الطائرات المختلفة حتى تتزود بالوقود ثم تعاود تحليقها لتكمل رحلاتها الطويلة ...

واغرب ما فى هذه الجزيرة اننا نزلنا بها مساء الاربعاء ، ثم قيل لنا حين ركبنا فى الصباح ان اليوم يوم الجمعة ...

ودهشنا جميعا . أين ذهب يوم الخميس ؟ وسألت عن هذا اليوم

الضائع فى هذه الجزيرة الضائعة فقيل انه يوم فرق فى التوقيت ضائع بين الشرق والغرب خلفناه وراءنا واضعناه فى أمريكا ، أى أننا اذا عدنا الى أمريكا لاستعدنا هذا اليوم الضائع . . .

والواقع أنه ليس هناك يوم ضائع أو مفقود ، ولكن الوقت يختلف بين خطوط الطول فتوقيت القاهرة مختلف عن توقيت جرينتش مثلا وهذا الاخير مختلف عن توقيت نيويورك ، كما انه اذا كان هناك ليل فى نصف الكرة ، فهناك نهار فى نصف الكرة الثانى ، ومن هنا ينشأ الاختلاف وراكب الطائرة لا يحس بفرق الوقت ولكن البلد هو الذى يهمه الوقت ، بسيطة . . أليس كذلك ؟ . .

فى الواقع اننى لم أدرك تماما ما هو هذا اليوم الضائع . . ؟ ومثل باقى الركاب تظاهرت بأنى « فاهمة تماما . . » ولكن الامر الذى لا شك فيه هو أن هناك يوما ضائعا . .

هذه الجزيرة الصغيرة التى تقف وسط المحيط تتحدى الامواج وتتحدى العواصف وتتحدى الزمن . . انها تتحدى الوقت الضائع . .

انها أقوى من الانسان . .

انها تقف هناك لتلقن درسا فهى مهما لطمتها الامواج او هزتها العواصف ، او قسا عليها الزمن ، فهى تعرف ان كل هذا زائل وأنها ستعود للحياة ، وستنحسر عنها كل هذه الامواج والعواصف . .

فهى لا تعرف اليأس لانها تعشق الحياة ! . .

فالحياة عندها غاية ، وليست مجرد وسيلة ، انها تعرف ان مجرد الحياة نعمة لا يتمتع بها الكثيرون . .

وهى كالامل اذا تشبث به الانسان وآمن به فسوف يتحدى الامواج والعواصف والزمن . .

كما تقف هذه الجزيرة القريبة لتتوسط الطريق بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، وقد دعانى هذا الى التساؤل ، هل هناك امل فى حل المشاكل بين الكتلتين والوصول الى السلام العالمى ؟

انى واثقة انه اذا تمسك العالم بهذا الامل فسوف يصل اليه رغم كل شىء

وهناك تعرفت برئيس وزراء سيلان ـ وكان عائدا الى بلاده عن طريق طوكيو فقال انه سمع عن دعوتى الى زيارة الهند والباكستان التى وجهها الى رئيسا الحكومتين ، وعرض على دعوته لزيارة سيلان فى طريق عودتى الى القاهرة

فقبلت الدعوة شاكرة ..

ومضينا نتحدث فى مشاكل العالم المختلفة .

وكان قد طاف حول العالم ، وسألته «لماذا طفت حول العالم ؟»

فكان رده : « لان العالم لم يطف حولى »

فكان ردا فلسفيا لونه المرح ، فيه هذا المعنى البليغ : اذ لم يأتك الخير .. فأقدم أنت عليه .

طوكيو

ووصلت الطائرة الى اليابان ، وشاهدت أرضها الجبلية ، فكانت تضطر احيانا الى الارتفاع الى علو شاهق ، وكانت بعض الجبال تعلوها الثلوج ، وتغطيها الخضرة من كل جانب ، فهى اشبه شىء بسويسرا ..

ووصلنا الى طوكيو ، عاصمة البلاد التى لا تغرب عنها الشمس، وأحد الاعمدة التى تقوم عليها حضارة الانسانية ، اذ لا يستطيع أحد ان ينكر فضل اليابان فى المساهمة بحضارتها فى نهر الحضارة الانسانية .

ولكن . . . لقد لعبت اليابان دورا هاما فى حياة اسيا فى السنوات العشر التى سبقت الحرب العالمية الثانية ، فقد اشتركت مع الرجل الابيض فى استعمار جزء كبير من جنوب شرق آسيا ، وكانت كوريا ومنشوريا والصين وجزر الفلبين تحت سيطرتها المباشرة او غير المباشرة .

كانت هى عملاق الشرق . الكلمة كلمتها ، والصناعة صناعتها وبقية الشعوب شعوب متخلفة لا تستحق سوى العمل من اجل رفاهية اليابان .

وكان الطريق لحل مشاكل اليابان حوالى سنة ١٩٣٠ ـ هو نفس طريق زميلتها وشبيهتها المانيا وهو تحويل اقتصادياتها نحو انتاج الحرب وبذلك تقضى على البطالة ، وتتيح فرصة العمل لاكبر عدد ممكن من الايدى العاملة وتعمل المصانع ليل نهار ، ولا سبيل الى تصريف هذه البضائع الا عن طريق الحرب ، والاستعمار .

لقد قال لى أحد الصحفيين اليابانيين البارزين فى طوكيو «لقد اخطأت اليابان تقدير الوقت ، لقد كان الاستعمار ممكنا فى الماضى ، أما اليوم فقد لقنت درسا ـ هى والمانيا ـ فى أن هذا الزمن انتهى واصبح وعى الشعوب قويا جارفا مهما بلغت بهم الجهالة والفقر والمرض » .

فقلت له لم يضع زمن الاستعمار الحربى فحسب . ولكن ضاع زمن الاستعمار كله بمختلف أنواعه ، الحربى والاقتصادى والعقلى ..

لقد فات اليابان فى الحرب الماضية فرصة تزعم الحركات الوطنية فى آسيا ، وآثرت الحرب ، فجاءت وبالا عليها ، وشهدت هيروشيما ونجازاكى أكبر مذابح القرن العشرين على الاطلاق على يد القنبلة الذرية ! ...

وكان انفجار القنبلة الذرية فى هيروشيما ونجازاكى اول تحذير للانسانية من خطورة القنبلة الذرية ... وبعدها القنبلة الهيدروجينية ... التى من شأنها أن تنقذ العالم أو تفنيه ...

❖

دخلنا طوكيو ، تلك المدينة القديمة الخالدة ...

والفارق كبير بين مدينة طوكيو ومدينة سان فرانسيسكو فالاخيرة مدينة غربية كل شىء فيها جديد فبعد أن دمرها الحريق

الكبير المشهور منذ خمسين سنة بنيت كلها من جديد ، فأصبحت مدينة حديثة رسم كل خط فيها قبل بنائه .

أما طوكيو فمدينة شرقية عتيقة ، شوارعها ضيقة وبيوتها ملتصقة بعضها البعض وحوانيتها ترجع الى قرون مضت ...

وأحسست عند وصولى الى طوكيو أننى قد اقتربت من بلدى الحبيب ، وذلك رغم المسافات الطويلة التى كانت ما زالت تفرقنى عنه ورغم التفاوت بين مدنية أفريقيا ومدنية آسيا ... ولكن عندما سمعت فى طوكيو الموسيقى الشرقية ... وعندما جلست على الارض فى « الرستورونات اليابانية » وعندما رأيت بعض نساء « الجيشة » ينحنين عند دخول الرجال فى المحلات ... شعرت أن الشرق ليس ببعيد . هذا الشرق الذى نحبه بفضائله وعيوبه لانه الوطن الحبيب .

طوكيو عنوان لحضارة قديمة ، وسان فرانسيسكو عنوان لحضارة جديدة الاولى حضارة شرقية تمتد جذورها الى آلاف السنين والثانية حضارة غربية بنت هذا العصر ، وكأنما تكمل كل منهما الاخرى .

واذا تعمقت قليلا فى طوكيو ، ودخلت أزقتها وأحياءها السكنية أحسست أنك قد انتقلت الى عالم آخر مختلف تماما عن العالم الذى تعيش فيه ، كل شىء مختلف . الملابس والمنازل والوجوه والطعام ، كل شىء فى طوكيو له طابعه الخاص ، الطابع اليابانى الجميل ، كل خطوطه هندسية ، حتى وجوههم يخيل اليك أنها مرسومة طبقا لخطة هندسية .

وكانت الاخبار قد سبقتنى الى طوكيو لتنقل اليها صدى التصريحات التى أدليت بها فى لوس أنجلوس عن الامم المتحدة واتقانها صناعة الكلام وتكوين اللجان دون العمل أو حتى محاولة تنفيذ ما يجىء بهذا الكلام ، وقد علق على كلامى هذا كثير من الصحفيين ومراسلى وكالات الانباء والجرائد الاجنبية وذلك فى المؤتمر الصحفى الذى أقامه لى سفير مصر فى طوكيو ، وقد أتيحت لى

الفرصة أن أتحدث عن القضية العربية ومشكلة اللاجئين ، وكنت أجيب على أسئلة الصحفيين واحدا واحدا لأشرح لهم دور الـــدول الكبرى فى ترك مشكلة اللاجئين قائمة بلا حل ... وخطورة هـذه المشكلة اذا تركت على ما هى عليه ...

وفاتت الايام ... وفشلت مؤتمرات جنيف ... وأدرك الجميع أنه من المحال ايجاد حل لكل المشاكل الدولية ان لم تحل أولا مشكلتا فلسطين وبرلين ...

وقد استقبلنى على المطار ـ مع سفير مصر ـ كل سيدات الحركة النسائية فى اليابان وعلى رأسهن سيدات أعضاء فى (الديت) وهن من شيوخ ونواب البرلمان .

والسيدات يلعبن دورا ضخما فى نهضة اليـــابان الحديثـة ، ويشاركن الرجل فى جميع نواحى النشاط فى الدولة ، وقد اشتركن فى جزء كبير من المناقشة وكن مشتعلات حماسة وحركة وذكـــاء واحتللن مكانة ممتازة طوال السهرة التى أقامها لى بالسفارة المصرية سفيرنا فى طوكيو ...

كن معظمهن مشتركات فى حركتهن السياسية والوطنية وكن يناقشن المشاكل المختلفة بأفق واسع وادراك متزن ، يتحمسن حينما يجىء ذكر المشاكل الوطنية ويدافعن عن وجهات نظرهن بحـــرارة وقالت احداهن أنهن لا يخسرن المناقشات بسهولة وأعتقد أن هذه هى حال النساء فى العالم ...

وأستطيع أن أشهد للزميلات سيدات المجتمع اليابانى بالرشاقة والاناقة والذوق السليم فى اختيار أثوابهن وترتيب منـــازلهن ، فالبيت اليابانى بيت له طابع خاص ، مفروش بالحرائر ذات الالوان التى لا تجد لها مثيلا بين أقمشة العالم ، والاسرة اليابانية ، كأى أسرة شرقية ، أسرة متماسكة الاب فيها هو صاحب الامر كلمتـــه مسموعة وأمره مطاع ..

وكثير من البيوت اليابانية مصنوعة من الخشب ... لا يـكاد

يكون فيها أثاث وكل ما يملكه اليابانى أغلبه رسمات على الحائط أو أقمشة ... وبصفة عامة كل ما يمكن اليابانى أن ينقذه معه فى حالة « الزلزال » ...

ولا يخفى على أحد أن الزلزال فى اليابان ... كفنجان القهوة الذى نشربه فى كل وقت فى مصر ...

والبيت اليابانى لا يخلو من أصيص للزرع أو بعض الزهريات الجميلة وبها باقة للزهور وهم يميلون الى الالوان الزاهية ، وكثرة الرسومات كما يعشقون الموسيقى والرقص ..

ونستطيع أن نلمس تأثير الطابع الامريكى فى اليابان فالمثقفون يتقنون الانجليزية ، وبعض الملاهى تجد بها بنات اليابان فى الملابس الوطنية وهن يعزفن ألحان « المامبو » و « السامبا » الواردة من نيويورك . والاطفال يمضغون اللبان الامريكانى ودور السينما تعرض الافلام الامريكية فى كل شارع ؛ بل وتجد أيضا مبانى ضخمة أسست على نمط « ناطحات السحاب » ولكنها بنيت بطرق هندسية خاصة تجعلها تتغلب على الزلزال ... وهذا شأن فندق « أمبيريال أوتيل » الذى مكثت فيه مدة اقامتى فى طوكيو .

والواقع أننى بعد أن زرت اليابان استطعت أن أفهم أسباب تطور اليابان بسرعة ، فلقد فهمت مدى تعاون الرجل والمرأة تعاونا كاملا أساسه المساواة وتبادل الاحترام والمساعدة لرفعة البلاد ، ونتائج هذا التعاون رائعة .

فاليابان نموذج للبلد المنتج الذى يخلق الكثير من القليل والذى يصنع المعجزات فى ميادين الصناعة والتجارة ، فاليابانيون يحسنون استغلال مواردهم بل أكثر من ذلك انهم يستعيضون بموارد الغير فرغم المساحة الهائلة التى تتمتع بها اليابان من الغابات فهى تستورد أخشابا أخرى لصناعتها وهى تصدر الارز اليابانى الفاخر بسعر مرتفع لتستورد بدلا منه أرزا من الاصناف العادية للاستهلاك المحلى ، كما يحسنون استغلال المياه الاقليمية حتى كانت اليابان

هى ثانى بلد فى صيد السمك فى العالم قبل الحرب الاخيرة وقد بدأت تستعيد مكانتها مرة أخرى فى السنوات الاخيرة ٠

وقد زرنا المصانع اليابانية للصناعات الثقيلة والصناعات الخفيفة التى يشتهرون بها وأهمها صناعة لعب الاطفال وآلات التصوير ويساعد على رخص المنتجات الصناعية فى اليابان وفرة الايدى العاملة حتى لقد كانت اليابان تنافس الولايات المتحدة الامريكية ، وتضاعفت قوة اليابان على أثر انتصارها على روسيا فى حرب ١٩٠٥ ، وبدأت أمريكا ترهب جانبها وكانت لا تجرؤ على منافستها فى بلدان آسيا كما كانت بعض المنتجات اليابانية تصل الى انجلترا قبل الحرب العالمية الثانية بسعر أرخص من المنتجات البريطانية نفسها ٠٠٠

ولا يستطيع أحد أن ينكر فضل طرق الصناعة اليابانية ومساهمتها فى تطور فن « التكنولوجى » الصناعى فى العالم والدقة المتناهية فى منتجاتها ورخص سعرها الى حد يثير الدهشة ٠٠٠

وقد كان من الطبيعى أن أهتم بمشكلة بنات « الجيشا » وأنا هناك فأنتهزت هذه الفرصة وسألت اليابانيات كيف يسمحن بهذه الوصمة فى مجتمعهن وفى اليابان ممثلات فى البرلمان وهن من أرقى سيدات العالم لأن هذا يتعارض مع تحرير المرأة واستغلال بنات الجيشا كالرق تماما فى العصور الوسطى وقد كن كلهن ثائرات ضد الحكومة لسماحها لهذا الرق بالانتشار دون حسيب أو رقيب ٠

ولكن كان هناك شعور عام قوى « بان الجيشا » فى طريقها الى الزوال ، وقد شرحت لى احدى ممثلات الشعب فى البرلمان اليابانى كيف نشأت فكرة الجيشا ثم تطورت حتى أصبحت بشكلها الحالى فقالت : ان « الجيشا » بدأت فى أول الامر بتمرين الفتيات على الرقص والغناء والموسيقى على أن ذلك فن من الفنون ، ثم أخذن يرقصن ويخدمن فى المطاعم والمحلات العامة ، أصبحن يتجر فيهن ويستغللن لمصلحة أشخاص آخرين وتطورت الامور من سيىء الى أسوأ حتى أصبح كثير من الفتيات يعملن فيه وازداد عددهن بعد الحرب العالمية

الاخيرة نظرا لظروف الفقر والاحتلال وكان سن بعض الفتيات لا يزيد عن أربعة عشر عاما أو أقل مما أثار سخط المجتمع وعم غضبهم وطالبوا جميعا بالاصلاح ، وقد تقرر فعلا الغاء هذا النظام وقام البوليس بمكافحته بعد سفرى من اليابان بفترة قصيرة ٠

وهكذا نجحت سيدات اليابان المكافحات وأغلقت صفحة من صفحات اليابان الى الابد لتبدأ البلاد بعدها صفحات عديدة من الكفاح فى سبيل العزة والمجد والكرامة ٠

ولقد تأهبت لترك اليابان وكلى اعجاب بهذا الشعب العتيق الذى تغلب على ظروفه القاسية وأعد العدة للكفاح ونهض بصناعته وتجارته ٠٠٠ ومد العالم بمثل من أمجد الأمثلة وهو : تغلب ارادة الانسان على العقبات ٠٠٠ فلا وجود للعقبات حيث توجد عزيمة قوية ٠٠٠

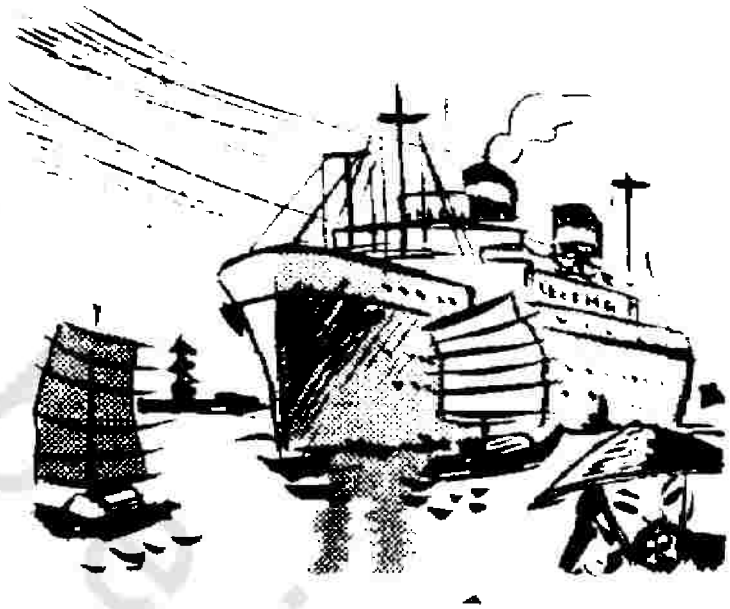

هونج كونج

وتركت اليابان ، الشعب الذى لا يعرف معنى اليأس أو الكسل أو التواكل ، والذى وقف يوما ليقول للغرب : « أنا الشرق ، أستطيع أن أنافسك فى كل شىء وأنا استمد ثقافتى من حضارة مستمدة من جذور عميقة فى الارض ، لى علومى وفلسفتى ، لى فنى الخاص بى وموسيقاى الوطنية ، ووقف الغرب يوما فأحنى رأسه احتراما لهذا الشعب القوى ...

والمثل العربى القديم يقول : « العالم مع من يقف على قدميه » والناس تخشى من يثق بنفسه وترهبه وتحبه فى نفس الوقت ...

ومررنا فى طريقنا الى هونج كونج على كوريا وفرموزا . وقد فكرت فى مشكلتيهما وتساءلت ، هل كانت أمريكا مخطئة حين تدخلت فى الحرب الكورية ، وهل فعلت ذلك بدافع أطماعها فى الشرق الاقصى أو خوفا من ضياع نفوذها ؟ هل كانت على استعداد للدخول فى حرب شاملة وقتها فعلا ، أم أنها كانت تجرب أسلحتها الحديثة ؟ هل حقيقة ما قيل وقتها أن أصحاب الاعمال والمصانع فى أمريكا أرادوا هذه الحرب كحل لأزماتهم الاقتصادية أم العكس هو

الصحيح ؟ هل كان من الخير لأمريكا أن تقف فى وجه التوسع الشيوعى الذى يكاد يبتلع آسيا ؟ وهل كان من الخير للعالم أن تقف أمريكا هذا الموقف ؟

وفرموزا ، مشكلتها أعجب ....

فلا زالت أمريكا تعترف بها على أنها الصين الحقيقية ، وهل من المستطاع تجاهل الصين الشعبية ؟ وقد قال الباندیت نهرو معلقا على ذلك : ان عدم الاعتراف بالصين الشعبية كمن يغمض عينيه عن الجبل الموجود أمامه ، ان هذا لا ينفى وجود الجبل ...

نظرت الى هذه الجزيرة التى يصنع فيها التاريخ اليوم ، وتذكرت تشانج كاى تشيك الذى كان اسمه فى وقت من الاوقات ضمن أسماء كبار الحلفاء أثناء الحرب الماضية ...

تذكرت كل ذلك فالأرض تدور ... والأيام تدور والأقدار تدور ... ولعلها تدور فى الطريق السليم ... وأين هو هذا الطريق السليم .. ؟؟ ان التاريخ وحده كفيل بالرد على هذا السؤال الذى يتوقف الرد عليه على أشخاص عديدة وبلاد عديدة وشعوب وأقدار عديدة ...

ووصلنا اخيرا الى هونج كونج ... وجدت فى انتظارى سيدات الحركة النسائية فى هونج كونج ، واغلبهن من عائلات صينية عريقة ...

لقد أدهشنى جمال هذه البلدة القديمة ، انها بحق لمن أجمل بلاد العالم، وهى شبه جزيرة مرتبطة بجزيرة أخرى صغيرة ويربطهما مراكب كبيرة تسير بانتظام بينهما ، وتقوم الادارة ودور الاعمال فى شبه الجزيرة أما الجزيرة فهى حى المؤسسات التجارية العديدة التى تجعل من هونج كونج من أهم المدن التجارية الدولية ...

وكانت سيدات الحركة النسائية هناك قد حجزن لى مكانا فى فندق البينانسول "Peninsule" فى شبه الجزيرة ، وبعد أن أمضيت بعض الوقت فى غرفتى للراحة ركبت معى السيدات وتوجهنا الى

الجزيرة على ظهر احدى المراكب الكبيرة ونحـــن فى سيارتنا لان السيارات تدخل المركب كالركاب تماما . ولاحظت أن أسماء أغلب السيدات مكونة من حرفين فقط . فاحداهن اســـمها مثلا السيدة « نج » فحاولت نطق ذلك الاسم : نوجو ·· ناجا ·· نى جى ·· الخ وكان كله « غلط فى غلط » ··· ووجدت أن الوسيلة الوحيدة هى أن أنادى السيدات بكلمة « حضرتك » ··· وكل ذلك باللغة الانجليزية فلا هم كانوا فاهمين لهجتى المصرية ولا أنا فاهمة لهجتهم الصينية وانتهى الامر أن أغلب حديثنا كان بالاشارة ···

وهونج كونج بلد فى غاية التمدين والأناقة ، وهى تمتـاز على مناظرها الطبيعية بموقع دولى ممتاز بين أمريكا والشرق اذ تمر بها جميع البواخر من جميع أنحاء العالم ، فهى كالبوتقة التى تصب فيها مدنيات مختلفة وتنصهر لتخرج فى قالب جديد استفاد من جميـع هذه المدنيات فأصبح لا يقل عن احداها وان كان يجمع بين مزايا الجميع ···

وطلبت منى سيدات الحركة النسائية فى هونج كونج أن ألقى محاضرة أهاجم فيها تعدد الزوجات ، وأدهشنى هـــذا الطلب لأن السكان غير مسلمين فى مجموعهم ، ولكن عندهم شىء أفظع من تعدد الزوجات بمعناه المألوف ، لأن الرجل عندهم فى استطاعته أن يتزوج مائة امرأة أو أكثر اذا شاء وكان فى استطاعته ذلك ويعترف المجتمع بالزواج بمجرد أن يقول الرجل لأى فتاة « أنت زوجتى » فتصبح زوجته ··· هكذا بدون أوراق أو وثيقة لاثبات حق الزوجة أو شهود أو أية اجراءات رسمية !! ···

ثم يخول له القانون أن يترك الرجل زوجته بنفس الطريقة التى تزوجها بها أى بمجرد أن يفكر فى ذلك دون أوراق أو شهود أو أية اجراءات رسمية كذلك ! ···

ويحتمل أن تكون الزوجة قد أنجبت منه أطفـــالا فتتشرد هى وأطفالها دون الاعتراف لهم بأى حق يمكنهم من الســـير فى ركب الحياة !! ···

وذكرنى ذلك بمأساة زينب ـ الطالبة المصرية ـ فى لندن التى تزوجها شاب صينى بدون أوراق أو شهود وكان ذلك الشاب من هونج كونج ـ وكنت قد قابلتها أثناء زيارتى للندن ولمست مأساتها وما تحملته من آلام ، وأدركت السبب الاصلى ، ان الشاب الصينى فعل ما كان يمكن أن يفعله فى هونج كونج دون أن يكون فى ذلك جريمة فى نظره ، وحدث ما حدث فى لندن ، وتدخل البوليس الانجليزى لأن الاستهتار بحقوق المرأة يعتبر من أبشع الجرائم فى نظر الانجليز ...

وقد رأيت بنفسى بيت أحد الاغنياء فى هونج كونج ويسكن سراى فيه ثمانية أدوار . فكانت تسكن فى كل دور زوجة ... وأولادها ... ويمكنك أن تتخيل ما يحدث فى مثل هذا البيت من مشاكل ومقالب وخناقات ... الخ .

فألقيت فعلا محاضرة فى تعدد الزوجات وهاجمت هذه العادة هجوما عنيفا ـ فصفقت لى الحاضرات من السيدات تصفيقا حارا وتحمسن لهذه المحاضرة حتى أننى خشيت على أزواجهن بعد انتهائها ! ...

وبعد المحاضرة انهالت الاسئلة من كل جانب من جوانب القاعة وتناولت شتى الموضوعات ، وكان معظمها مركزا على مصر والقضية الوطنية ، والمشاكل المختلفة القائمة ، ثم جاء ذكر الاثنى عشر طيارا أمريكيا الذين كانوا قد وقعوا فى الاسر فى الصين الشيوعية ، وكانت أمريكا قد أقامت الدنيا وأقعدتها حول هؤلاء الطيارين الاثنى عشر وسخرت جميع سبل الدعاية الحديثة للمطالبة بعودتهم الى وطنهم ...

فقلت للصحفيين . أننى أتمنى أن يكون للمليون لاجىء من العرب حظ هؤلاء الطيارين الاثنى عشر وعشمى أن يساوى هذا المليون الاثنى عشر !! ...

ماذا كان شعورى عندما خرجت من هونج كونج .. ؟ انه كان شعورا فريدا فى نوعه . ففى منطقة هونج كونج يعيش الفريقان :

الشيوعيون فى ناحية ومن لا يهضم الشيوعية فى ناحية أخرى وذلك على بعد بضعة أميال ، ويبدو أن الجميع يعيشون حياة هادئة هانئة دون خوف أو توتر ...

لقد لاحظت السعادة على وجوه كل من قابلتهم فى هونج كونج ، فهل هذا الهدوء حقيقى وهل هذه السعادة حقيقية ... ؟ وهل ممكن أن تعيش جميع أنظمة الحكم فى سلام بعضها الى جانب بعض ؟ هل مبدأ المعايشة : « عش ودع غيرك يعيش » يطبق حقيقة فى هـــذه المنطقة ؟ هل هذا الخيط الضعيف الذى لاحظته فى هونج كونج من هدوء وسعادة يوحى الينا امكان تطبيق مبدأ « المعايشة السلمية » ؟

هل هذه المعايشة بين هونج كونج وجيرانها حقيقية ... ؟
هذا هو السؤال ... على رأى « هاملیت » ...

كانت تذكرتى تخول لى الســـفر من هونج كونج الى كلـــكتا (بالهند) عن طريق رانجـــون (بورما) ، ولكنى لم أتنبـــه لاعـــداد الباسبورت قبل سفرى من القاهرة حتى يتـــاح لى المرور عن طريق بورما ، وطلبت أن يدلنى القوم على موقع القنصـــــلية المصرية فى هونج كونج حتى يؤشر على الباسبورت بسماح مرورى على بورما ، فقيل لى أنه ليس لمصر قنصلية بهونج كونج ، ويجب على أن أرسل الباسبورت الى مصر للتأشير عليه ثم يرسل لى ثانيا الى هونج كونج وعليه التأشيرة ، وذلك كان يتطلب مدة طويلة ولم يكن لـــدى الا أربع وعشرون ساعة حسب البرنامج الذى وضعته من الاصل ...

وكان قد سبق أن دعانى سفير بورما فى نيويورك لزيارة بلاده ولكننى لم أتمكن من قبول الدعوة لطول مدة سفرى ولضيق الوقت ، وندمت فى ذلك الوقت لعدم تلبية الدعوة الكريمة التى تقدم لى بها سفير بورما فى نيويورك ، ولكن مبدئى أنه لا فائدة من الندم ولا داعى لضياع الوقت فى الندم ، وفكرت كيف أخرج من ذلك المأزق ، وسألت شركات الطائرات هل هناك طريق آخر غير « رانجون » يكون المرور فيه أسهل ؟ ... فقيل لى أن هناك طريق « بانجوك » ، فقلت الحقونى بتذكرة على « بانجوك » ، أهو كله يوصل الى الهند ... !!

الهند

وصلت الى « كلكتا » فى الوقت الذى كان الباندیت نهرو رئيس وزراء الهند فى نفس البلد ، كنت أنا فى طريقى الى نيودلهى حيث كانت تنتظرنى البيجوم انديرا غاندى كريمة نهرو ، وكان هو فى طريقه الى « جاكرتا » عاصمة « أندونيسيا » لحضور مؤتمر « كولمبو » الذى جمع رؤساء وزارات الهند والباكستان وسيلان وأندونيسيا وبورما ، وكان ذلك المؤتمر « الاسيوى » مقدمة لمؤتمر باندونج « الافريقى ـ الاسيوى » .

قابلنى على مطار كلكتا مندوب من السيد رئيس وزراء الهند والسيد قنصل مصر والسيدة قرينته ومندوبة من السيدة انديرا غاندى وعدد كبير من مندوبى الصحف ووكالات الانباء .

وحين هبوط الطائرة فى كلكتا قدم لى العقد التقليدى من الورد وكان رائعا ، لم أفاجأ بهذه المقابلة الكريمة لما أعهده فى كرم الشعب الهندى ، وخاصة أننى كنت مدعوة رسميا من الحكومة الهندية لزيارة الهند ، كما أننى كنت مدعوة أيضا من حكومتى سيلان وباكستان ...

وتصادف وجودى والباندیت نهرو فى نفس الوقت فى « كلكتا » ورغم انشغاله الشديد فى كلكتا نفسها فى مؤتمر على جانب عظيم من الاهمية الا أنه حدد لى موعدا وقابلته فى نفس اليوم ·

وقد كنت متخوفة من هذه المقابلة لعلمى أنه درس فى بريطانيا وانه من السهل عليه أن يكتشف ضعفى فى اللغة الانجليزية ، وتصور سرورى عندما علمت أنه يتقن اللغة الفرنسية التى أجيدها أيضا ، وأدركت مدى تعليم هذه الشخصية القوية ، وتناولنا الحديث عن موضوعات متعددة ، وكان أول سؤال وجهه لى هو لماذا أضربت عن الطعام وعما اذا كنت متأثرة بفلسفة غاندى ، وقلت أننى فعلا متأثرة به وبتعاليمه وانني أحتفظ له بمكانة خاصة اعجابا بأنه كان من أوائل الشرقيين الذين دعوا الى نزول المرأة الى جميع الميادين وفى مقدمتها ميدان الكفاح الوطنى فى سبيل تحرير البلاد ، وكذلك معجبة بفلسفته وهى الحصول على الحقوق بلا عنف ، الى درجة الاضراب عن الطعام حين لا يجد صاحب الحق وسيلة أخرى · وهذه الطريقة السلمية التى أهم ما فيها التضحية بالنفس فى سبيل المصلحة العامة هى فلسفة غاندى الرائعة وفلسفة أصحابه وهذه الفلسفة هى الحجر الاساسى فى عظمة الهند ·

وتحدثنا عن تقدم المرأة فى الهند ، وعن مدى ما وصلت اليه من تقدم فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، وقال لى ان أثناء زيارتى للهند يجب أن أحضر مؤتمرا نسائيا منعقدا فى « لاكناو » حيث تدرس المشاكل الخاصة بالمرأة والاسرة ، وقال لى ان كريمته السيدة انديرا غاندى قد وضعت برنامج زيارتى لبلدة « لاكناو » ضمن برنامج اقامتى فى الهند حتى أتمكن من حضور هذا المؤتمر ·

وتحدثنا عن تقدم الهند فى النواحى الاقتصادية وتطورها السياسى ، وأسلوب عدم استعمال العنف ، وفلسفة غاندى وأصدقائه ومن بينهم الرئيس نهرو وهى السياسة التى تسير عليها الهند ، وهى محاولة الوصول الى حل للمشاكل بالطرق السلمية .

وبعد أن قابلت نهرو ، زاد ايمانى بهذا الرجل ، كما زاد ايمانى بالدور الذى تلعبه الهند فى السياسة العالمية اليوم والتوازن الذى تحاول أن تخلقه بين الكتلتين الشرقية والغربية ، لقد قال نهرو انه يرفض أن تسمى هذه السياسة « بالكتلة الثالثة » وهو يرفض ذلك تمسكا بمبادئه لانه ضد التكتل وضد الكتل أيا كان نوعها وضد خلق معسكر ثالث مع المعسكرين المتناحرين الموجودين حاليا ..

وهذا هو نفس الدور الذى تلعبه انجلترا فى أوروبا بين الكتلتين أيضا ، وهذه هى أهم الرسالات السياسية للوصول الى السلام فى قرن القنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية ، وهى نفس الاسباب التى جعلتنى أقول دائما ان نهرو من أكبر سياسيى العالم .

قبل أن تنتهى مقابلتى للرئيس نهرو اتصل تليفونيا بالسيدة وزيرة اللاجئين فى كلكتا لتنظم لى برنامج زيارتى فى « كلكتا » كما أنه اتصل تليفونيا بكريمته السيدة انديرا غاندى « بنيودلهى » حتى يطمئن أن كل شىء منظم لزيارتى لباقى البلاد الهندية ، وكان ذلك كرما منه لما كنت أعرفه عن مشاغله العديدة .

لقد أعجبت بأن وزيرة اللاجئين بكلكتا « سيدة » ، وكنت أعلم أن ذلك المنصب من أخطر المناصب فى الهند ، ففى كلكتا ما يزيد عن ثلاثة ملايين لاجىء ، وتقوم وزيرة اللاجئين بتنظيم المصانع لكى يجد كل لاجىء عملا يعيش منه فلا يكون عالة على المجتمع وفى نفس الوقت يسترد الروح المعنوية التى كثيرا ما يفقدها كل من يترك بلده .

ومشكلة ملايين اللاجئين فى الهند والباكستان جاءت نتيجة انقسام الهند والباكستان ، فأغلبية المسلمين هاجروا الى الباكستان كما أن غير المسلمين لجأوا الى الهند .

وجدت فى مطار نيودلهى فى انتظارى مندوب السيد رئيس جمهورية الهند ومندوب السيد رئيس وزرائها ومندوبة السيدة انديرا

غاندى كريمة الرئيس نهرو والسيد مستشار السفارة المصرية والسيدة قرينته ، وكان سفيرنا فى الهند متغيبا فى ذلك الوقت ، ولفيفا من سيدات المجتمع الهندى ومندوبى الصحف . وطبعا قدم لى عند نزولى من الطائرة عقد من ورد وضعته حول عنقى وقد بدأت منذ زيارتى « لهونولولو » أن أتدرب على هذه العادة الجميلة ، وكان الامر كذلك أيضا فى باقى مدن الهند وفى سيلان وباكستان .

ولقد نزلت ضيفة فى رئاسة الجمهورية الهندية حيث قابلت رئيس الجمهورية « راجندرا براساد » .

وكانت مقابلته ودية هادئة تركت أحسن الاثر فى نفسى ، فهو وديع الخلق دقيق الحساسية . تحدثت معه طويلا عن أعز صديق له وهو غاندى ، وعلمت منه أنه مكث فى السجن مع غاندى تقريبا كل السنين التى مضاها فى السجن صديقه العظيم ، وكان فخورا عندما كان يروى لى هذه الفترة من حياته التى يعتبرها أهم أيام حياته ، وسألنى : هل وصلت الى نتيجة باضرابك عن الطعام ؟ فكان ردى : نعم ... فان الرأى العام فى مصر قد أدرك تماما أهمية قضية المرأة ... ثم سألنى ما هو شعورنا نحو غاندى الذى أطلنا فى الحديث عنه ، فقلت له ان غاندى كان صديقا للانسانية جمعاء ، ولا يزال يعيش فى قلوب الكثيرين حتى اليوم ..

ثم قابلت كريمة نهرو السيدة انديرا غاندى ، وشقيقته السيدة سنج والسيدة وزيرة الصحة التى كانت طبيبة نهرو . أما شقيقته السيدة فيجايا لاكشيمى نهرو فكانت قد سافرت الى لندن كمندوبة لبلادها ، وقابلت أيضا رئيسات وأعضاء الهيئات النسائية اللائى أكرمننى اكراما منقطع النظير فى البلاد المختلفة التى زرتها فى الهند وهى كلكتا ونيودلهى ولكناو ومدراس .

وزرت فى ضواحى نيودلهى « تاج مهل » وهو هذا المبنى الضخم الذى بناه أحد ملوك الهند كمقبرة لزوجته الجميلة التى فارقت

الحياة وهى فى ربيع العمر ، فأراد أن يبنى لها مقبرة تجعل العالم بأجمعه يتحدث عنها . وفعلا يتحدث العالم كله عن « تاج مهل » .. وهو هذا المبنى الذى يشبه ـ رغم ضخامته ـ قطعة « البيجو » ..

يقال أن الملك الحزين لم يطلب من الفنانين وضع خطة لبناء وتنسيق هذا المبنى ، فلقد رأى رؤية ألهمته وضع الخطة التى تناسب مثل هذا المبنى ، فوضعها بنفسه وكانت تعبيرا عن حبه لزوجته .. فجاءت المقبرة آية فى الجمال .

obeikandi.com

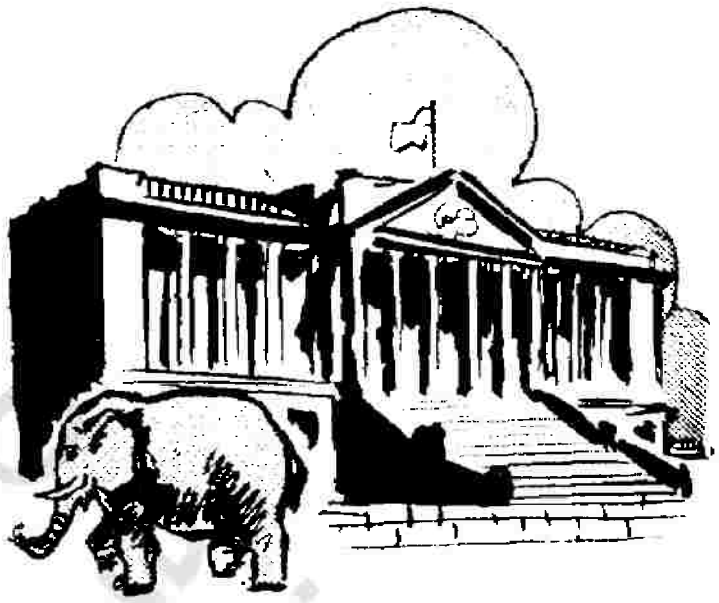

سيلان

ثم وصلت الى كولومبو فى جزيرة سيلان ..

وقد ازددت فخرا بمصريتى فى هذه المدينة ..

لقد قامت كولومبو كلها تستقبلنى وتكرم وفادتى فأقيمت الاحتفالات والاستقبالات وأحاطت بى العيون ، كنت أخرج من حفل لاتوجه الى حفل آخر ، وأقابل بالترحاب فى كل مكان ..

كل ذلك من أجل مصر واكراما لمصر فى شخصى ..

وأقام رئيس وزراء سيلان مأدبة عشاء دعا اليها تسعمائة ضيف من أجانب ووطنيين ودهشت حين عرفت أن ليس لنا قنصلية هناك وحبذا لو كان لنا قنصلية هناك لاهمية سيلان فى المحيط الهندى .

وأغرب المناظر التى يمكن أن تشاهدها فى سيلان ، هو منظر الفيلة التى تسير فى الشوارع ، وهى أول مرة أرى فيها الفيل وهو يستخدم كالخيل تماما ويركبه الوطنيون كوسيلة للمواصلات ..

وعندما زرت حديقة الحيوانات التى يملكها السيد رئيس وزراء سيلان قالت لى احدى الصحفيات : ضعى يدك على الفيل .. انه وديع .. فوضعت يدى فاذا بجلده كقطعة من الخشب تماما .. أما افطار كل واحد من الفيلة فهو عبارة عن « سبت منجة » والفيل يبتلع السبت من المنجة فى أقل من دقيقة واحدة ..

وتذكرت ما كتبه « كبلنج » ، فقد كنت أقرأ وأنا صغيرة كتبه عن الغابات فى آسيا وشعرت بأن الاحلام التى كنت أحلم بها فى طفولتى عن رؤية هذه الاماكن قد تحققت أخيرا وأصبحت اليوم حقيقة ماثلة ...

ومن أظرف الشخصيات التى قابلتها فى سيلان رئيس الوزراء نفسه : السير كوتيلاوالا ، وقد كنت أتحدث اليه فى أحد الايام فقال أنه هو الاخر قام برحلة حول العالم فسألته عن سبب قيامه بها وهدفه من ذلك فأجاب قائلا :

ـ لم يدر العالم حولى ، فقررت أن أدور أنا حوله .

ومما يذكر أن السير كوتيلاوالا هو الذى أحدث ضجة فى مؤتمر باندونج عندما قال : اننا ننادى بمنع الاستعمار الغربى والشرقى على السواء .

باكستان

ثم وصلت كراتشى ، عاصمة الباكستان ، وأحسست احساسا قويا بأننى أصبحت بين اخوة لى ، فأهل ذلك البلد اخوة لنا فى ديننا الاسلامى ، وهم اخوة لنا فى مشاكلنا وأهدافنا وطرق معيشتنا ، وهم شديدو الشبه بنا فى هذه النواحى ..

وقد استقبلنى مندوب السيد محمد على رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ، وممثلو السفارة المصرية ، وسيدات الهيئات النسائية ، وجمع من الصحفيين ، وطلب منى أن ألقى محاضرة فى جامعة كراتشى وبعد المحاضرة وجه الطلبة بعض الاسئلة الى ، ثم تحولت المحاضرة والاسئلة كلها الى موضوع واحد محصور حول تعدد الزوجات ، وتبينت من أسئلتهم وحديثهم أنهم جميعا يعارضون الفكرة بشدة ، ولكنهم يخشون أن يتعارض هذا مع تعاليم الدين الحنيف ..

ثم فهمت السبب فى ذلك ، فهم يقرأون القرآن الكريم مترجما الى اللغة الانجليزية ، فقلت لهم ان روح الاسلام تتعارض مع تعدد الزوجات ، وقد أباح ذلك فى صدر الاسلام لظروف دينية وسياسية واجتماعية ، وهذه الظروف قد تغيرت ..

وترجمة القرآن لا يمكن أن تعطى مدلول الكلمات العربيـــة الصحيحة ، فقلت لهم انه جاء فى القرآن الكريم أنكم « لن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » وكلمة لن هنا غير مترجمة ترجمة صحيحة فطلبت اليهم أن يعودوا الى علمائهم الذين يجيدون اللغة العربيـــة ليعيدوا النظر فى ترجمة القرآن ، حتى لا تبقى أى شكوك فى التفسير أو التباس فى النص ..

وأدهشنى الضجة غير العادية التى أثارتها محاضرتى ، وكثرت الاسئلة واشتبك الحاضرون فى مناقشات طويلة حتى اننى اضطررت الى تأجيل المناقشات لليوم التالى ..

وتعجبت أن تقوم كل هذه الضجة فى كراتشى وسألت اذا كانت هناك أسباب خفية وراء هذه الضجة لا أعرفها أنا ، فعرفت ـ بمحاولة محمد على ، رئيس الوزراء ـ الزواج مرة ثانية ، وكانت حتى ذلك الوقت مجرد « محاولة » لم تدخل حيز التنفيـــذ ، وكان الشعب ثائرا ...

وفى اليوم التالى تضاعف عدد الحاضرين مرات ومرات ، حتى وصلوا الى ٧٠٠ شخص جاءوا كلهم يســـتمعون الى كلامى ، وجاء الرجال وقد أعدوا بعض الاســـئلة لاحراجى ، وظنوا أن لغتى الانجليزية ستعوزنى فأنهزم أمامهم ، ولكن شجعنى وجود مائة سيدة باكستانية ، حضرن ليقفن جنبا الى جنب مع الرجال لاول مرة فى محاضرة عامة ، وكان نصفهن محجبات ، أخذن يستمعن الى قضيتهن « وقامت من بينهن سيدة تكلمت بحماسة وانفعال غريبين وهاجمت الرجال الذين يدعون الى تعدد الزوجات ... »

وقد قلت للرجال فى هذه المحاضرة أن حجتى لن تكون أقوى من وجود نحو مائة ســـيدة بالمحاضرة حضرن جميعا ليســـتمعن الى قضيتهن ، ولن تكون أقوى من حماسة هذه السيدة ..

ثم قلت انهم لا يرضـــون أن تعيش زوجاتهم مهددات فى حياتهن الزوجية لانهم يعطفون على زوجاتهم أكثر مما أعطف أنا عليهم

ثم أنهيت كلامى بقولى : « اننى أترك مسألة تعدد الزوجات بين أيدى الرجال لينصفوا الدولة والاسرة والزوجة الباكستانية ٠٠ »

وصفق بعض الحاضرين ، ولم يصفق البعض الاخر ٠٠٠ فقلت لهم اننى استنتجت من عدم تصفيق نصف الصالة ان حوالى ٣٠٠ رجل فى هذا المكان متزوجون بأكثر من سيدة ، وكان ذلك صحيحا ٠

والتفت حولى النساء كمن يلتففن حول شخص أزاح ثقلا من على صدورهن فهذا صوت مسلم ضيف على الباكستان يدافع عن حقوقهن ويناصر قضيتهن ٠

وفى مؤتمر صحفى أقيم لى فى المكان الذى كنت أقيم فيه وهو نفس مسكن رئيس الوزراء وحرمه سألنى مندوب « النيويورك تايمس» عن رأيى فى مكافحة الامية عن طريق التليفزيون

وكنت قد أبديت رأيى فى موضوع التليفزيون لمندوب جريدة « الهيرالد تريبيون » فى نيويورك ، والرأى هو أننا اذا استعنا بالتليفزيون لمكافحة الامية يكون فى امكاننا أن نمحى الامية فى كل بلاد الشرق فى ظرف سنة واحدة ، وأدركت من سؤال مراسل « النيويورك تايمس » أن ما قلته فى نيويورك كان له صداه فى كاراتشى ، وفى جميع أنحاء العالم ٠

والباكستانيون دائما ينظرون الى مصر ـ خصوصا فى أمور دينهم ـ على أساس أنها المرجع والام ، وكعبة المسلمين ، ويتلقون الابحاث والتعاليم التى تنشر فى تطور الفكر الاسلامى كالجائع الذى يتلهف على لقمته ، والواقع أن هذا الشعور ليس فى الباكستان فحسب بل هو فى جميع البلاد الاسلامية الاخرى فى آسيا كاندونيسيا مثلا ٠

وقبل أن أنتهى من هذا الباب أود أن أقول كلمة عن البيجوم « حميده » الزوجة الاولى للسيد محمد على سفير الباكستان فى كراتشى الآن ورئيس وزرائها السابق ، ان البيجوم « حميده » فى

رأيى سيدة من أرقى سيدات العالم لما تمتاز به من ثقـــافة وجمال وأخلاق عالية ورقة فى المعاملة ، انها أم مثالية ضحت بنفسها فى سبيل هناء أولادها ، ان صورة البيجوم « حميده » هى أجمل صورة بقيت فى ذهنى من زيارتى لكراتشى ، وهى المثل الحى لما تقاسيه المرأة المسلمة فى حياتها الزوجيـــة حيث لا توجد قوانين كافية لحمايتها وحيث لا يفسر الدين السمح الكريم فى معناه الحقيقى وهو معنى العدالة والحق والانسانية .

obeikandi.com

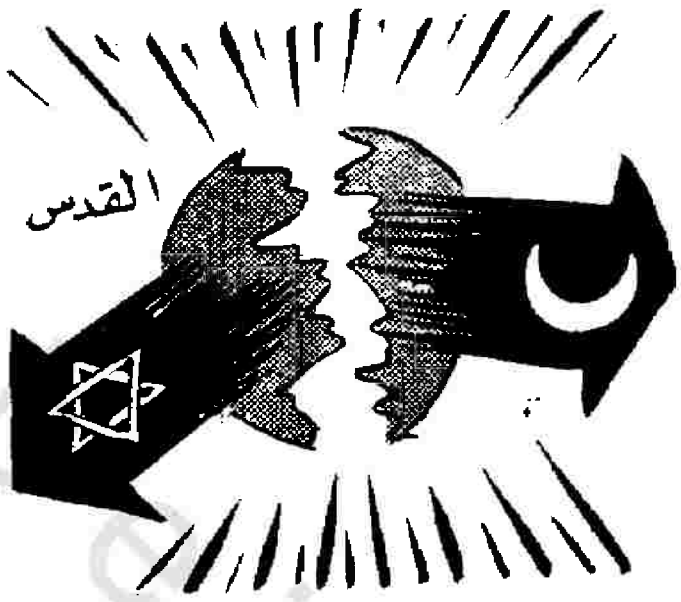

الشرق الاوسط

وكان الشرق الاوسط هو خاتمة مطافى قبل عودتى ، فمررت بكثير من بلدانه ، وزرت القدس ودمشق وبيروت وعمان فكنت أشعر دائما اننى فى وطنى بين أهلى وعشيرتى وأحبابى ·

وشعرت وأنا فى القدس الجريحة أن هنا هو المكان الحساس لا فى الشرق الاوسط فحسب بل فى العالم أجمع ·

هنا يسطر التاريخ أخطر صفحاته ، فهو يكتبها وهو يرتجف لأنه لا سبيل الى حل مشاكل العالم الا بعد أن تحل مشاكل الشرق الاوسط قلب العالم ·

هنا توجد أعقد مشاكل الشرق الاوسط ومشكلة المشاكل وهى مشكلة اللاجئين العرب ، فاذا لم تحل هذه المشكلة حلا موفقا بأسرع ما يمكن فسوف يسجل القرن العشرون أفظع جريمة انسانية ارتكبت فى حق شعب أعزل لا ينشد الا السلام وحتى لا تؤدى مشكلة الشرق الاوسط الى نكبة عالمية ·

والمسألة ليست مسألة مصالح ، ولا هى بالمسألة العاطفية ، ولكنها مسألة الاعتراف بحق معين ، حق العرب الذى لا يمكن أن يختلف عليه اثنان ·

وانك فى كل عاصمة من عواصم الدول العربية وفى كل بلد منها

تحس بالوعى الشعبى الجارف ، فلقد زادت نسبة التعليـــم بين أبنائها ، وتضاعفت ثروة أكثرها ، فلم تعد ضعيفة ونهبا للاستعمار ، وتحس بتصميم أهلها على بلوغ الاهداف القومية والامانى الوطنيـة فى عزم صادق أكيد ..

وقد لمست ذلك عندما زرت مؤسسة السيدة هنـــد الحسينى وقرأت فى أعين الاطفال بالمؤسسة هذا العزم وهذا التصميم ، وأهم شىء لكسب القضية العربية هو الاتحاد ، فلو اتحدت البلاد العربية لاصبحت قوة يعمل لها ألف حساب .

والبلاد العربية أمامها مشاكل متعددة ، وهى نفس المشاكل الكائنة فى كل منها فاذا تمكنوا من الوصول الى اتفاق يجمعون عليه جميعا لأمكن التغلب على هذه المشـــاكل ولأمكن التغلب على كل غاصب محتال ... وعلى كل عدو مهما كبرت قوته .

وهناك مشروعات جبارة لرفع مستوى المعيشة فى البلاد العربية وهى مشروعات السد العالى واقامة مصنع الحديد والصلب فى مصر واستغلال البترول فى الشرق الاوسط فى سبيل رفاهيـــة الشعب وذلك عدا مشروعات أخرى خاصة بكل من البلاد العربية .

ويسعدنى أننا جميعا نحس بذلك .. فى القاهرة ودمشـــق وعمان والرياض وبيروت والقدس ..

ويسعدنى أننا جميعا متفقون على هدف واحد هو العمل من أجل تحقيق السلام والعدالة والحرية وانقاذ الامة العربية من كل أنواع الاستعمار، ورد الحق لاصحابه مهما كلفنا ذلك من متاعب وتضحيات..

لقد وقفت الامم العربية متكاتفة أمام الطغيان ، ولقـد برهنت الامة العربية لما تحملته من آلام فى السنين الماضية وذلك فى صبر وايمان ، انها عقدت العزم على أنها لن تنحنى أمام العدوان ، وعلى أنها لن تستسلم أمام أى نوع من الاستعمار ، ان الامة العربيـــة تبذل كل ما يمكن أن يبذله الانسان لاسترداد حقوقه ، فعلى المرء أن يسعى وعلى الله التوفيق ، والتوفيق من جانبنا باذنه تعالى ، فلا وجود لقوة يمكنها الوقوف أمام العزيمة والايمان ، ولا يضيع حق وراءه مطالب .. والنصر لنا باذن الله ...

الخاتمة

الآن وقد فرغت من طوافى بك حول العالم ... الآن وقد عدت الىٰ وطنى بعد أن رأيت ملايين من البيض والسمر ، من الصفر والحمر ... من كل الالوان والاجناس ... من مختلف الثقافات ومختلف الطبقات ... وقد شاهدت مدنيات وحضارات متفرقة ونهضات ووثبات مختلفة فى أوربا وآسيا ... فى الشرق الاقصى والشرق الادنى ...

الآن أستطيع أن أؤكد أن هذه الملايين التى رأيتها والتى تحدثت الى مئات منها وقابلت عشرات من قادتها وزعمائها ... ان هذه الملايين مهما اختلفت آراؤها فى وسائل الحكم والسياسة فانها عن بكرة أبيها تؤمن بمبادىء السلام والحرية والمساواة ... انها على استعداد لان تضحى وتبذل العرق والدم ، لا فى سبيل حرب جديدة يكونون وقودها ، بل فى سبيل حياة جديدة أعز وأشرف وأزهى وأسعد ، بل لعل الحرب الوحيدة التى تخوض الجماهير غمارها فى كل مكان هى الحرب ضد الحرب .